جهود المحدثين ومنهجهم
في حفظ
الحديث النبوي الشريف

بقلم
د. هيام عبد الباسط محمد عبد الغني
مدرس الحديث وعلومه
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات
جامعة الأزهر الشريف بالإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله لا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

أمَّا بعد ...،

فقد حث الرسول ﷺ على حفظ الحديث وتبليغه ودعا لمن يقوم بهذا العمل الجليل بالسعادة في الدنيا والنعيم في الآخرة فقال ﷺ: **{نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه}**(١).

وتواترت الأحاديث عنه ﷺ في وجوب الأخذ بسنته والعمل بها ومن ذلك قوله ﷺ: **{عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة}**(٢)، وأمر ﷺ بتبليغ سنته الصادقة وحذر من الكذب عليه فقال: **{بلغوا عني ولو آية وحدثوا عني بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار}**(٣).

ولما للسنة من مكانة في الدين عظيمة حرص المحدثين بجمع الأحاديث وتنقيتها من الدخيل وتبليغها للناس وشرحها وبيان غريبها، ونقد متونها وأسانيدها لمعرفة صحيحها من سقيمها، وثابتها من زائفها فتطوع لها رجال أفذاذ بذلوا النفس والنفيس واستهانوا بكل غال ورخيص في سبيل الحفاظ على الهدى النبوي ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين فحفظ الله بهم الشريعة وجعلهم منار الهدى للناس فنحن ندين لهم بهذا الفضل والله عز وجل يثيبهم عنا وعن الإسلام خير الجزاء وهذا من فضل الله تعالى على هذه الأمة فأردت أن أكتب بحثاً أبين فيه جهود هؤلاء الأئمة اللذين أدوا السنة

(١) أخرجه الترمذي في سننه، في أبواب العلم: باب في الحث على تبليغ السماع ١٤١/٤.
(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة: باب لزوم السنة ٥٠٦/٢، والترمذي في سننه، أبواب العلم: باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة ١٠٥/٤.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدأ الخلق: باب ما ذكر عني بنى إسرائيل ٢٠٧/٤.

كما سمعوها، وسيتبين لكل منصف أمانة هؤلاء الأعلام وحرصهم الشديد على سنة نبيهم.

ويتكون هذا البحث من مقدمة وإحدى عشر مبحث وخاتمة.

١- **المبحث الأول: وتناولت فيه:**

أ- أسباب عناية الصحابة بتلقي الحديث.

ب- كتابتهم للحديث وعنايتهم بالصحف.

٢- **المبحث الثاني: الصفات التي ينبغي لطالب الحديث أن يتحلى بها.**

٣- **المبحث الثالث: السن الذي تحملوا فيه الحديث.**

٤- **المبحث الرابع: اهتمام المحدثين بالرحلة فى طلب الحديث.**

٥- **المبحث الخامس: اهتمام المحدثين بالإسناد.**

٦- **المبحث السادس: اهتمام المحدثين بعلم تاريخ الرواة.**

٧- **المبحث السابع: اهتمام المحدثين بعلم علل الحديث.**

٨- **المبحث الثامن: اهتمام المحدثين بعلم غريب الحديث.**

٩- **المبحث التاسع: اهتمام المحدثين بعلم ناسخ الحديث ومنسوخه.**

١٠- **المبحث العاشر: اهتمام المحدثين بعلم الجرح والتعديل.**

١١- **المبحث الحادي عشر: تحذير المحدثين من الصحفي.**

المبحث الأول

أ- أسباب عناية الصحابة بتلقي الحديث.

ب- كتابتهم للحديث وعنايتهم بالصحف.

المبحث الأول

أ- أسباب عناية الصحابة بتلقي الحديث

عنى الصحابة بتلقي الحديث عن نبيهم عناية فائقة للأسباب الآتية:

الأول: أنهم علموا أن الله عز وجل أوجب عليهم اتباع الرسول ﷺ فيمايأمر به وينهى عنه لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (١).

الثاني: علموا أن طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله عز وجل واتباعه من اتباع الله عز وجل لقوله تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (٢)، ولقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (٣).

الثالث: علموا أن مهمة الرسول ﷺ إيضاح الحق حين يختلف الناس قال تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٤). لقوله تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾(٥).

الرابع: علموا أن الله عز وجل حذر من مخالفة أمره ﷺ لقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٦). بل علموا أن مخالفته ﷺ كفر لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الكَافِرِينَ﴾(٧).

---

(١) سورة الحشر، بعض الآية ٧.
(٢) سورة النساء، بعض الآية ٨٠.
(٣) سورة آل عمران، الآية ٣١.
(٤) سورة النحل، الآية ٦٤.
(٥) سورة النساء، الآية ٦٥.
(٦) سورة النور، الآية ٦٣.
(٧) سورة آل عمران، الآية ٣٢.

الخامس: علموا أن السنة قرينة القرآن في وجوب العمل بها والتمسك بهديها وأنها الأصل الثاني للدين لقوله ﷺ: **{إنى تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتى ولن يتفرقا حتى يردا على الخوض}**(١).

السادس: حث النبى ﷺ لهم على تحمل الحديث عنه وحفظه وتبليغه ودعائه لمن قام بذلك بالسعادة في الدنيا والآخرة قال ﷺ: **{نضر الله امرءاً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها}**(٢).

السابع: كانوا يحبون رسول الله ﷺ أكثر من حبهم لأنفسهم، وكانوا يجدون في الاستماع إليه لذة وأنساً لكل هذه الأمور حرص الصحابة على كل ما يصدر عن نبيهم حرصاً شديداً لم توفق إلى مثله أمة من الأمم(٣).

ب – كتابتهم للحديث وعنايتهم بالصحف:

اهتم الصحابة رضوان الله عليهم بسماع الحديث من رسول الله ﷺ وضبطه لفظاً وحفظه صدراً، ولم يدونوه تدويناً رسمياً كما دونوا القرآن الكريم وذلك لأن الكاتبين كانوا قلة فى حياة الرسول ﷺ بحيث يعدون على الأصابع ولأن الصحابة كانوا يعتمدون على ذاكرتهم وحدها فى حفظ الأحاديث.

وقد وردت أحاديث عن رسول الله ﷺ بعضها يفيد النهى عن كتابة الأحاديث وبعضها يبيح الكتابة.

فورد في النهى عن كتابة الأحاديث والأذن في كتابة القرآن الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبى سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: **{لا تكتبوا عني شيئاً إلا القرآن ومن كتب شيئاً فليمحه}**(٤).

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك، كتاب العلم: باب خطبته ﷺ فى حجة الوداع ٩٣/١، ط بيروت.
(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم: باب فضل نشر العلم ٢٨٩/١ والترمذي في سننه أبوب العلم: باب الحث على تبليغ السماع ١٤١/١.
(٣) دراسات فى مناهج المحدثين للأستاذ الدكتور محروس رضوان عبد العزيز، ص ٣٤: ٣٦.
(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب الزهد والرقائق: باب التثبت فى الحديث ٢٢٩٨/٤.

وورد في إباحة كتابة الحديث ما رواه الإمام البخاري في صحيحه عن أبى هريرة ﷺ قال: ؟لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثاً مني إلا ما كان من عبد الله ابن عمرو ابن العاص فإنه كان يكتب ولا أكتب"(١).

(٢) ما رواه الدارمي والحاكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: "قلت يا رسول الله إني أسمع منك الشئ فأكتبه؟ قال: **نعم**، قلت فى الغضب والرضا؟ قال: **نعم فإني لا أقول فيهما إلا حقاً**"(٢).

(٣) وروى الترمذي عن أبى هريرة ﷺ قال: "كان رجل من الأنصار يجلس إلى رسول الله ﷺ فيسمع منه الحديث فيعجبه ولا يحفظه فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال ﷺ: {استعن بيمينك وأومأ بيده إلى الخط}(٣)"

التوفيق بين أحاديث الكتابة والنهي:

جمع الحافظ ابن حجر بين أحاديث النهي والأذن بعدة وجوه هي:

١- أن النهي خاص بوقت نزول القرآن خشية التباسه بغيره والأذن في غير ذلك.

٢- أن النهي خاص بكتابة غير القرآن في صحيفة واحدة والأذن في تفريقهما.

٣- أن النهي متقدم، والأذن ناسخ له عند الأمن من الالتباس .. قال الحافظ وهو أقربهما مع أنه لا ينافيها.

٤- أن النهي خاص بمن خشى منه الاتكال على الكتابة دون الحفظ، والأذن لمن أمن منه ذلك.

٥- ومنهم من أعل حديث أبى سعيد - الدال على النهي - وقال الصواب وقفه على أبي سعيد، قاله البخاري وغيره. وقد نتج عن أذن الرسول ﷺ لبعض الصحابة بالكتابة أن دونت صحف في حياته نسبت إليهم واشتهرت عنهم من ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

أ- صحيفة سعد بن عبادة الأنصاري ﷺ:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم: باب كتابة العلم ٣٩/١.
(٢) أخرجه الدارمي في سننه، باب من رخص في كتابة العلم ١٢٥/١ ط دار الفكر.
(٣) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب العلم: اب في الرخصة في كتابة العلم ١٤٥/٤.

وكان في هذه الصحيفة طائفة من حديث رسول الله ﷺ وسنته وكان ابن هذا الصحابي الجليل يروي من هذه الصحيفة فقد روى الترمذي عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن قال: أخبرنى ابن سعد ابن عبادة قال وجدنا فى كتاب سعد: "أن النبي ﷺ قضى باليمين مع الشاهد"(١).

ب- صحيفة سمرة بن جندب ﷺ:

كان سمرة بن جندب قد جمع أحاديث كثيرة فى نسخة كبيرة، ورثها ابنه سلميان ورواها عنه"(٢).

ج- صحيفة جابر بن عبد الله ﷺ:

كان لجابر بن عبد الله ﷺ حلقة في المسجد النبوي يروي فيها ما سمعه من الرسول ﷺ (٣) وقد كتب بعض التابعين ما سمعوه منه في صحيفته وكان التابعي الجليل قتادة بن دعامة السدوسي يكبر من قيمة هذه الصحيفة ويحفظها كما يحفظ السورة من القرآن.

د- الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ:

فقد أذن له رسول الله ﷺ بكتابة الحديث وكان كاتباً محسناً فكتب عنه الكثير وهو الذى سمى صحيفته ﷺ "بالصحيفة الصادقة" وقد صرح عبد الله بن عمرو بكتابة هذه الصحيفة بنفسه فقال: "الصادقة صحيفة كتبتها من رسول الله ﷺ وكان ﷺ يعظم أمر هذه الصحيفة ويقول: "ما يرغبني في الحياة إلا خصلتان الصادقة والوهطة فأما الصادقة: فصحيفة كتبتها عن رسول الله ﷺ، وأما الوهطة فأرض تصدق بها عمرو بن العاص كان يقوم عليها(٤). وتضم صحيفة عبد الله بن عمرو ألف حديث كما قال ابن الأثير(٥).

هـ- صحيفة علي بن أبي طالب ﷺ:

وفيها كما جاء في رواية مسلم "المدينة حرم ..." "ولعن الله من ذبح لغير الله.." وفيها كما جاء في رواية في رواية النسائى "المؤمنون تتكافأ دماؤهم

(١) أخرجه الترمذي فى سننه، أبواب الأحكام، باب ما جاء في اليمين مع الشاهد ٣٩٩/٢.
(٢) تهذيب التهذيب ١٩٨/٤، ترجمة: سليمان بن سمرة.
(٣) الإصابة ٢١٣/١.
(٤) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ٧٣/١، ط المنيرية.
(٥) أسد الغابة لابن الأثير، ٢٣٣/٣.

يسعى بذمتهم أدناهم" وفيها كما جاء في رواية أحمد "فرائض الصدقة"[١]، وكانت هذه الأمور جزءا مما اشتملت عليه الصحيفة المذكورة.

قال ابن الصلاح: "ثم زال ذلك الخلاف وأجمع المسلمون على تسويغ ذلك وإباحته: ولولا تدوينه في الكتب لدرس في الأعصر الآخرة"[٢].

من أجل ذلك اهتم المحدثون بكتابة الحديث واعتنوا بالصحف فهم إلى جانب الحفظ والعناية الفائقة بما تحملوه كان أكثرهم يكتب الحديث في صحف لكي تكون تلك الصحيفة المرجع الذي يرجع إليه المحدث، إن شك في حرف أو اختلف في لفظ مع الرواة الآخرين. فهذا وكيع بن الجراح يخالف عبد الرحمن بن مهدي، وكلاهما إمام حافظ حجة، لكن العلماء قدموا ابن مهدي على وكيع، إن اختلف معه، لأن ابن مهدى أقرب عهداً بالكتاب.

قال وكيع عن موسى بن على بن رباح عن أبيه قال: سمعت مسلمة ابن مخلد[٣]، قال: "ولدت مقدم النبي ﷺ المدينة، ومات وأنا ابن عشرة"[٤].

وقال ابن مهدي عن موسى بن على عن أبيه عن مسلمة أنه قال: "قدم النبي ﷺ المدينة، وأنا ابن أربع سنين ومات وأنا أبن أربع عشرة"[٥].

فقدمت رواية ابن مهدي على رواية وكيع لهذا السبب والدليل على ذلك قول الإمام أحمد: "إذا اختلف وكيع وعبد الرحمن فعبد الرحمن أثبت، لأنه أقرب عهداً بالكتاب".

وهذا الإمام يحيى بن معين يبحث عن حديث من رواية إسحاق الأزرق، في كتب إسحاق فلم يجده، فمن أجل ذلك أنكره. قال ابن أبى حاتم قلت لأبى: "فما بال يحيى نظر في كتاب إسحاق فلم يجده؟" قال: "كيف: أنَظَر في كتبه كلها؟ إنما نظر في بعضٍ وربما كان في موضع آخر"[٦].

(١) فتح البارى، ٢٠٤/١-٢٠٥.
(٢) التقيد والإيضاح، ص ٢٠٤.
(٣) هو مسلمة بن مخلد بتشديد اللام الأنصاري الزرقي صحابي صغير سكن مصر، ووليها، الإصابة ٩١/١/٦ وما بعدها، التقريب ٥٣٢/٢.
(٤) المحدث الفاضل، ص ١٩٢، الكفاية، ص ٥٧.
(٥) المحدث الفاضل، ص ١٩٢، الكفاية، ص٥٧.
(٦) العلل لابن أبى حاتم، ١٣٧/١.

فيلاحظ من هذه الحادثة وغيرها أن الكتاب كان حكماً بين المحدثين في الحديث الذي اختلفوا فيه.

قال الإمام عبد الله ابن المبارك: "إذا اختلف الناس في حديث شعبة فكتاب غندر حكم فيما بينهم"(١).

لذلك إذا كان الكتابُ صحيحاً يوصون به ويكونون حريصين على الكتابة منه فالنصوص كلها تؤكد أن الكتاب هو الحكم بين المحدثين إذا اختلفوا.

فكتابتهم للحديث في صحف، وحفظهم لهذه السنة لدليل واضح منهم على العناية بالسنة واهتمامهم بها، وأدائها كما سمعوها. وقد كانوا على قسمين فى كتابة الحديث...

أ- فمنهم من يحفظ أولاً ثم يكتب ما حفظه فى صحيفته لكي يرجع إليها عند الشك.

ب- ومنهم من قد كان يكتب أولاً ثم يحفظه وبعد ما يحفظه، إما أن يمحو ما كتب، وإما أن يتركه لكي تكون وثيقة لمروياته والشواهد على ذلك كثيرة، وسأكتفي ببعض الأمثلة على ذلك.

أ- قال طاووس: "كنت أنا وسعيد بن جبير عند ابن عباس يحدثنا، ويكتب سعيد بن جبير"(٢).

قال منصور بن المعتمر الكوفي قلت لإبراهيم النخعي: "سالم ابن أبي الجعد أتم(٣) حديثاً منك!" قال: "إن سالماً كان يكتب"(٤).

وكانوا يصفون من يحدث من كتاب، صاحب كتاب(٥) وإذا كان الراوي سيئ الحفظ فلا يتحملون منه إلا إن حدث من كتابه، وذلك ليأمنوا خطأه(٦).

فكان الإمام الثقة محمد بن سيرين البصري المتوفى سنة عشر ومئة: "لا يرى بكتابة الحديث بأساً فإذا حفظه محاه"(١).

(١) مقدمة الجرح والتعديل لابن أبى حاتم، ٢٧١/١.
(٢) المحدث الفاضل، ص ٣٧٤.
(٣) المراد من قوله: "أتم" أي يروى الحديث كاملاً تاماً بخلاف إبراهيم فقد يرويه أحياناً ناقصاً، لأنه يروى من حفظه، فربما ينسى الحرف والكلمة.
(٤) المحدث الفاضل، ص ٣٧٤.
(٥) سير أعلام النبلاء ٤٠٧/٧، ٣٥٦، ٣٥٨.
(٦) العلل ومعرفة الرجال ٣٥١/٢.

وكان يفعل مثله غير واحد من العلماء كعاصم بن ضمرة وغيره.

ب- أما الذين كانوا يحفظون أولاً ثم يكتبون فمنهم الإمام سلميان بن مهران المعروف بالأعمشي. إذ كان يسمع من أبى إسحاق، ثم يجئ، فيكتبه في منزله[٢].

قال هشيم: "ما كتبت حديثاً قط في مجلس كنت أسمعه، ثم أجيئ إلى البيت فأكتبه[٣] وكان يفعل مثله غير واحد من العلماء[٤]. وعندما كان عمر بن عبد العزيز والياً على المدينة قبل استلامه الخلافة: "كتب عمر إلى أبى بكر بن محمد أن اكتب إليَّ من الحديث بما ثبت عندك عن رسول الله ﷺ وحديث عمرة[٥]. قال الحافظ الرامهرمزى: "والحديث لا يضبط إلا بالكتاب ثم بالمقابلة، والمدارسة، والتعهد، والتحفظ والمذاكرة والسؤال والفحص عن الناقلين، والتفقه بما نقلوه"[٦].

أما الذين كانوا يمحون بعد الحفظ أو يحرقون كتبهم قبل الموت فلعدة أسباب: نذكر منها:

١- أنهم يفعلون ذلك لكي لا يعتمدون على الكتاب بل يعتمدون على الذاكرة والتعهد المستمر للحفظ.

٢- أنهم كانوا يخشون أن تقع كتبهم بعد موتهم في أيد غير أمينة فيزاد فيها أو ينقص. قال سعد بن شعبة ابن الحجاج: "أوصى أبى إذا مات أن أغسل كتبه، فغسلتها"[٧]. قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى تعليقاً على ذلك: "هذا فعله غير واحد، بالغسل، وبالحرق، وبالدفن، خوفاً من أن تقع في يد إنسان واه يزيد فيها أو يغيرها".

(١) المحدث الفاضل، ص ٣٨٢.
(٢) المحدث الفاضل، ص ٣٨٤.
(٣) المرجع السابق، ص ٣٨٥.
(٤) المرجع السابق، ص ٣٨٥.
(٥) العلل ومعرفة الرجال، ٤٩/١.
(٦) المحدث الفاضل، ص ٣٨٥.
(٧) سير أعلام النبلاء، ٢١٣/٧، ١١، ٣٧٦، ٣٩٦.

ونستطيع أن نستخلص من ذلك أن معظم المحدثين المتقدمين، كانوا يكتبون الحديث من صحف إلى أن جاء أمر الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ﷺ بكتابة السنة وتدوينها.

قال الحافظ ابن حجر: "وأول من دون الحديث محمد بن مسلم بن شهاب الزهري الفقيه المتوفى سنة ١٢٥هـ بأمر من الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى للهجرة فقد دون هذا العلم رسمياً في عهده ثم كثر التدوين، ثم التصنيف وحصل بذلك خير كثير فلله الحمد"(١). ولا يفهم من هذا أن العملاء كانوا لا يكتبون بل كان أكثرهم يكتب، ما يسمع من غير ترتيب فكان هذا التدوين الخاص منذ عصر النبي ﷺ لكن عندما جاء أمر عمر أخذ الصفة الرسمية وأخذ التدوين أشكالاً متعددة، والدليل على ذلك أننا إذا قرأنا تراجم السلف الصالح قبل أن يأتي عمر بن عبد العزيز لوجدنا العبارات الكثيرة التي تثبت أنهم كانوا يكتبون ما يحفظون في صحف حتى بعض الصحابة ﷺ كما أن كثيراً من المحدثين كان يحدث من كتابة لكي لا يقع في غلط أو خطأ قال الإمام الذهبي: "الورعُ أن المحدث لا يحدث إلا من كتاب كما كان يفعل ويوصى به إمام المحدثين أحمد بن حنبل ﷺ"(٢). وكان أيضاً على مذهب الإمام أحمد على بن المديني قال رحمه الله: "ليس في أصحابنا أحفظ من أبى عبد الله أحمد ابن حنبل، وبلغني أنه لا يحدث إلا من كتاب ولنا فيه أسوة"(٣). قال الحافظ الخطيب: "الاحتياط للمحدث والأولى به أن يروي من كتابه ليسلم من الوهم والغلط ويكون جدير بالبُعد من الذلل"(٤). وهذه الصحف أو الكتب كانوا يحافظون عليها محافظة لا نظير لها، حتى أنهم لا يعيروها لأحد. قال الإمام أحمد: "قال أبو قطن وكان ثبتاً - ما أعرتُ كتابي أحداً قط"(٥). وكان وكيع بن الجراح ينهي عن استعارة الكتب. قال الإمام أحمد سمعتُ وكيعاً يقول: "نهيت

(١) فتح الباري، ٢٠٨/١.
(٢) سير أعلام النبلاء، ٣٨٣/٩، الجرح والتعديل ٢٩٥/١.
(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ١٢/٢.
(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ١٠/٢.
(٥) العلل ومعرفة الرجال، ١٣٧/١.

أبا أسامة الكوفي أن يستعير كتب الناس"[١]. قال على بن قادم سمعت سفيان يقول: "لا تعر أحداً كتاباً"[٢].

وذلك خشية أن يغير الكتاب من زيادة أو نقصان قال الحافظ الخطيب: "والذي عندي في هذا - يشير إلى إعارة الكتب - أنه من غاب كتابه ثم عاد إليه، ولم ير فيه أثر تغيير حادث من زيادة أو نقصان أو تبديل، وسكنت نفسه إلى سلامته جاز له أن يروي منه"[٣]. وكانت هذه الكتب تجدُ اهتماماً لدى العلماء إذا كانوا يفون الكتاب بالصحة أو بغيرها.

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: "كتب إلى ابن خلاد قال سمعت يحيى - هو ابن سعيد القطان - يقول: كنا نسمي كتب ابن جريج كتب الأمانة"[٤]. ومن كان عنده كتابُ ثم تصيبه آفة كالحرق، أو الضياع، أو يزاد فيه من قبل آخرين، ثم يحدث منه صاحبه، فإن أهل الحديث يجرحونه، ويردون حديثه، كما صنعوا فى ابن لهيعة وغيره"[٥].

وهذا أبو بكر القطيعي عندما غرقت كتبُه جرحَه العلماءُ قال الحافظ الخطيب: "كان بعض كتبه غرق فاستحدَث نسخها من كتاب لم يكن فيه سماعُه، فغمزه الناسُ، إلا أنا لم نر أحداً امتنع من الرواية عنه، ولا ترك الاحتجاج به"[٦].

ومن الأدلة الواضحة على دقتهم أنهم كانوا لا يكتفون بالكتابة بل لابد من المقابلة. قال هشام بن عروة قال لي أبي: "أكتب؟ قلتُ: نعم! قال: عارضت؟ قلت: لا! قال: لم تكتبْ شيئاً"[٧]. وهكذا كان غير واحدٍ من المحدثين يتبع هذا المنهج[٨]. ومن حدث بما كتب عن الشيخ ولم يعارضه ويقابله بالأصل، جاز له أن يروي لكن بشرط أن يبين أنه لم يعارض، كما أفتى بذلك أبو بكر الإسماعيلي[٩].

(١) المرجع السابق، ٢٧٥/١.
(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ٢٤٤/١.
(٣) الكفاية، ص ٢٣٦.
(٤) وذلك: لضبطها وإتقانها، التقريب ٣١٩/٢.
(٥) العلل ومعرفة الرجال، ٢٢٥/٢.
(٦) تاريخ بغداد، ٧٣/٤، ٧٤.
(٧) المحدث الفاضل، ص ٥٤٤.
(٨) الكفاية، ص ٢٣٧ وما بعدها.
(٩) المرجع السابق، ص ٢٣٩.

قل الحافظ الخطيب: "وهذا مذهب أبى بكر البرقاني، فإنه روي لنا أحاديث كثيرة، وقال فيها: أن فلان - أي أخبرنا فلان ولم يعارض بالأصل"[1]. فهذه الدقة المتناهيةُ، وهذا التحري العجيب لا نظير له، كلٌّ ذلك من أجل المحافظة على السنة النبوية.

(١) المرجع السابق، ص ٢٣٩.

المبحث الثاني
الصفات التي ينبغي لطالب الحديث أن يتحلى بها

بما أن الاشتغال بالحديث من أفضل القربات إلى الله تعالى وأشرف الصناعات فاشترط العلماء على من يشتغل به وينشره بين الناس أن يتحلى بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم من أجل ذلك كانت هناك الدقة البالغة والشدة المتناهية والورع الزائد وهذا كله أثر شعورهم بقيمة المروي فليس بكلام عادي ولا بشعر ولا خطب ولا قصص وانما هو دين لذلك قال محمد بن سيرين: "إن هذا الأمر دين فانظروا عمن تأخذون دينكم"(١).

١- وكان المحدثون في الغالب لا يحدثون إلا من كان فطناً حافظاً لكتاب الله ملتزماً شرع الله تعالى: فكان أولئك الأئمة لا يحدثون بالحديث كل أحد، بل كانوا يحدثون من كان حافظاً لكتاب الله وممن كان يذهب هذا المذهب سلميان بن مهران المعروف بالأعمش والمتوفى سنة سبع وأربعين ومئة (١٤٧هـ).
قال حفص بن غياث الكوفي المتوفى سنة أربع أو خمس وتسعين ومئة (١٩٥هـ): "أتيت الأعمش، فقلت: حدثني! قال: أتحفظ القرآن؟ قلت: لا! قال: اذهب فاحفظ القرآن ثم هلمّ أحدثك" قال فذهبت فحفظت القرآن ثم جئته فاستقرأني، فقرأته فحدثني"(٢). وقد عقد القاضي عياض باباً خاصاً في الأمور التي ينبغي لطالب الحديث أن يتحلى بها قبل سماع الحديث(٣).
وكان يذهب هذا المذهب الإمام عبد الله ابن المبارك المتوفى سنة إحدى وثمانين ومئة(٤). وسعيد بن أبى مريم المتوفى سنة أربع وعشرين ومئتين وغيرهما.

٢- كما اشترط المحدثون في طالب الحديث أن يكون ملم باللغة وضوابطها قال عثمان بن سعيد الدارمي السمارُ: كنا عند سعيد بن أبى مريم بمصر، فأتاه رجل فسأله كتاباً ينظر فيه، أو سأله أن يحدثه بأحاديث فامتنع عليه، وسأله رجل آخر في ذلك

(١) الجامع لأخلاق الراوي، ١/١٥.
(٢) المحدث الفاضل، ص ٢٠٣.
(٣) الالماع: باب في آداب طالب السماع وما يجب أن يتخلق به، ص ٤٥.
(٤) المحدث الفاضل، ص ٢٠٣.

فأجابه، فقال: له الأول: سألتك فلم تجبني، وسألك هذا فأجبته، وليس هذا حقّ العلم! أو نحوه من الكلام.

قال: فقال ابن أبي مريم: إن كنت تعرف الشيباني من السيباني، وأبا جمرة من أبى حمزة وكلاهما عن ابن عباس، حدثناك وخصصناك كما خصصنا هذا"[١]، فهذا دليل واضح أنهم كانوا في الغالب لا يحدثون إلا من كان فطناً حافظاً لكتاب الله ملتزماً شرع الله تعالى ضابطاً ملماً باللغة العربية وأحكامها.

٣- كما أنهم كانوا لا يحدثون إلا من كان راغباً في سماع الحديث وتحمّلِه إلى جانب ما تقدم من بعض الأمور التي ينبغي لطالب الحديث أن يتصف بها، قال الإمام مسروق بن الأجدع المتوفى سنة اثنتين وستين: "لا تنشر بزك إلا عند من يبغيه"[٢]، قال الإمام أحمد: يعنى الحديث. ولا يخفى على أحد أن العلم إذا أعطى للزاهد فيه، فإنه سرعان ما ينساه، وحينئذ سيكون ضرره أكثر من نفعه لذا نجد غير واحد من المحدثين يحذر من أن يعطى هذا الحديث لغير أهله قال الأعمش: "انظروا إلى هذه الدنانير، لا تلقوها على الكنايس" يعنى الحديث.

٤- كما ينبغي أن لا يحدث المحدث الناس بما لا يعرفونه قال أبو قلابة المتوفى سنة أربع ومئة: "لا تحدث بالحديث من لا يعرفه، يضره، ولا ينفعه"[٣]. لذا نجد غير واحد من المحدثين يحذر من أن يعطى هذا الحديث لغير أهله.

قال الإمام ابن شهاب الزهري الفقيه الحافظ المتوفى سنة خمس وعشرين ومئة: "إن للحديث آفة ونكداً وهجنة، فآفته نسيانه، ونكده الكذب، وهجنته[٤] نشره عند غير أهله[٥].

وقال الأعمش: "آفة الحديث النسيان، وإضاعته أن تحدث به غيره أهله"[٦].

(١) المحدث الفاضل، ص ٢٧٤، سير أعلام النبلاء، ٣٢٩/١٠.
(٢) العلل ومعرفة الرجال ٩٢/١.
(٣) المحدث الفاضل، ص ٥٧١.
(٤) هجنته أي تقبيحة، لسان العرب، ٤٣٤/١٣.
(٥) المحدث الفاضل، ص ٥٧١.
(٦) المرجع السابق، ص ٥٧٢.

٥- كما أنه لابد للمحدث أن يكون ضابط للكلمة وتنقيطها حتى لا يقع فيها تصحيف وذكروا أن الراوي الذي يعتني بالتشكيل والتنقيط لدليل على دقته وصحة كتابه. وقد حث غير واحد من أهل الحديث على أهمية التنقيط والضبط(١).

قال حماد بن سلمة لأصحاب الحديث: "ويحكم! غيروا يعني قيدوا واضبطوا"(٢). وقد كان أصحاب الحديث على قسمين:

أ- منهم من يشكل جميع الكلام.

ب- ومنهم من يشكل الذي يحتاج إلى شكل.

قال الرامهرمزي: "قال أصحابنا أما النقط فلابد منه لأنك لا تضبط الأسامي المشكلة إلا به ... وقالوا: إنما يُشكل ما يُشكل، ولا حاجة إلى الشكل مع عدم الإشكال"(٣).

وقال آخرون: "الأول أن يشكل الجميع، وكان عفان وحيان من أهل الشكل والتقييد"(٤).

ومن أجل أهمية الضبط نرى المحدثين إذا شك أحدهم في كلمة يسأل عنها أهل العربية.

قال عبد الله بن المبارك: "إذا سمعتم عني الحديث فاعرضوه على أصحاب العربية، ثم احكموه"(٥).

٦- تصحيح النية وإخلاصها. وتطهير القلب من أغراض الدنيا.

٧- أن يكون أكبر همه نشر الحديث، والتبليغ عن رسول الله ﷺ مبتغياً جزيل الأجر.

٨- ألا يحدث بحضرة من هو أولى منه لِسِنهِ أو عِلمِهِ(٦).

من هنا يتبين لنا مدى اهتمام المحدثين بطالب الحديث وأنه لابد من توافر كل هذه الشروط في طالب الحديث وتدل أيضاً على أمانة أهل الحديث.

---

(١) المحدث الفاضل، ص ٦٠٨، ٦٠٩، والتنقيط هو أن تبين التاء من الياء، والحاء من الخاء.
(٢) الكفاية، ص ٢٤٢.
(٣) المحدث الفاضل، ص ٦٠٨.
(٤) المرجع السابق.
(٥) الكفاية، ص ٢٥٥.
(٦) تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان، ص ١٧٦، ١٧٧.

المبحث الثالث

السن المناسب لطلب الحديث

حدد أهل الحديث سناً مناسباً إذا بلغه الشاب جاز له الخروج لطلب الحديث وكتابته، أما إذا لم يبلغها فلا يجوز له تحمل الحديث وذلك من أجل أن يكون الطالب للحديث متأهلاً لذلك ويكون على دراية وإدراك لما يكتب ولما خرج من أجله في طلب الحديث وعليه أهل الكوفة. وقيل يستحب أن يبتدئ بسماع الحديث في سن الثلاثين وعليه أهل الشام، وقيل في سن العاشرة، وعليه أهل البصرة، وقيل الصواب في الأعصار المتأخرة التبكير بسماع الحديث من حين يصح سماعه لأن الحديث منضبط في الكتب(١)، قال الإمام الرامهرمزي: "على أن طلاب الحديث عصر التابعين كانوا في حدود العشرين وكذلك يذكر أهل الكوفة"(٢).

وقيل لموسى بن إسحاق: كيف لم تكتب عن أبى نعُيم؟ قال: كان أهل الكوفة لا يخرجون أولادهم في طلب العلم صغاراً، حتى يستكملوا عشرين سنة(٣)، وهو لم يبلغ سن العشرين لذا لم يكتب عنه. وليس معنى هذا أن من طلب الحديث قبل هذا السن لا يصح، إذا كان أهل البصرة يرسلون أولادهم لطلب الحديث إذا بلغوا عشر سنين، وإنما المراد المبالغة في التأكد من إدراكه، فالصحيح أن من كان يقظاً ذكياً جاز له طلب الحديث والعناية به ولو كان دون العشرين والدليل على ذلك أن سفيان بن عينية طلب الحديث وعمره خمس عشرة سنة"(٤). والصحيح أنه متى تأهل واحتيج إلى ما عنده جلس للتحديث في أي سن كان(٥).

(١) تيسير مصطلح الحديث، ص ١٥٧، ١٥٨.
(٢) المحدث الفاضل، ص ١٨٦.
(٣) المرجع السابق ص ١٨٦.
(٤) المرجع السابق، ص ١٨٥.
(٥) تيسير مصطلح الحديث، ص ١٧٧.

المبحث الرابع
اهتمام المحدثين بالرحلة في طلب الحديث

من المعروف لدى العامة والخاصة رحلة الصحابة والمحدثين من بلد إلى آخر بحثاً عن الإسناد العالي وبحثاً عن الحديث إذا كانوا يقطعون المسافات الطويلة المحفوفة بالمخاطر من أجل رواية الحديث(١).

حتى أنهم كانوا يذهبون إلى الحج من أجل أن يجتمعوا بالمحدثين القادمين من شتى الأمصار وكان السبب الداعي لهم للرحلة في طلب الحديث اجتماعهم ولقاؤهم بالمشهورين من أهل العلم بالحفظ والإتقان لأن الحديث لا يقبل إلا ممن كان إماماً ثقة قال أيوب السختياني: "كانوا يحجون للقيِّ"(٢).

وقال الإمام سفيان الثوري المتوفى سنة إحدى وستين ومئة: "خذ الحلال والحرام من المشهورين في العلم، وما سوى ذلك فمن المشيخة"(٣).

واحتاج الناس إلى الصحابة وخاصة صغارهم، بعد أن أخذ الكبار يتناقصون يوماً بعد يوم فاجتهد صغار الصحابة بجمع الحديث من كبارهم، فكانوا يأخذون عنهم كما كان يرحل بعضهم إلى بعض من أجل طلب الحديث فقد أخرج الإمام أحمد في سنده عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: "بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول الله ﷺ فاشتريت بعيراً ثم شددت عليه رحلي فسرت إليه شهراً حتى قدمت عليه الشام فإذا عبد الله بن أنيس، فقلت للبواب قل له: جابر على الباب. فقال ابن عبد الله: قلت نعم فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني واعتنقته، فقلت حديثاً بلغني عنك، أنك سمعت من رسول الله ﷺ في القصاص فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **{يحشر الناس يوم القيامة أو قال العباد غرلاً بُهما قال قلنا: وما بهما؟ قال ليس معهم شئ، ثم يناديهم بصوت يسمعه من قرب: أنا الملك. أنا الديان، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقضه منه ولا ينبغي لأحد من**

(١) المحدث الفاضل، ص ٢٢٣، ٢٢٩.
(٢) العلل ومعرفة الرجال، ٣٦٩/١.
(٣) المحدث الفاضل، ص ٤٠٦.

أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أل النار عنده حق حتى أقضه منه حتى اللطمة، قال قلنا: كيف ولنا إنما نأتي الله عز وجل عراة غراً بُهماً؟ قال: بالحسنات والسيئات}"[1]، وروى ابن عبد البر عن عطاء بن أبى رباح أنا أبا أيوب الأنصاري رحل إلى عقبة بن عامر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه غيره فلما قدم إلى منزل مسلمة بن مخلد الأنصاري - وهو أمير مصر فخرج إليه فعانقه ثم قال له: ما جاء بك أبا أيوب؟ قال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ في ستر المؤمن فقال: نعم. سمعت رسول الله ﷺ يقول: **{من ستر مؤمناً في الدنيا على عورته ستره الله يوم القيامة}**، ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته فركبها راجعاً إلى المدينة فما أدركته جائزة مسلمة إلا بعريش مصر"[2].

وكانت زيارة الصحابي لمدينة من المدن الإسلامية كافية لأن يجمع أهل المدينة كلها حوله ويشتد الزحام ساعة وصوله، وتشير الأصابع أن هذا صاحب رسول الله ﷺ[3].

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٤٩٥/٣ في مسند عبد الله بن أنس ﷺ.
(٢) أخرجه أحمد في مسنده ١٥٩/٤٥، جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٩٣/١.
(٣) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص ٧٤.

المبحث الخامس

عناية المحدثين بالإسناد

للإسناد قيمة كبرى في الإسلام عبر عنها ابن المبارك بقوله: "الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"(١)، وهذا أمر ملموس، فعندما يتوقع مخبر أنك ستسأله عمن نقل هذا الخبر يخاف انكشاف كذبه إن كان كاذباً فيحجم، وقال أيضاً: "بيننا وبين القوم القوائم"(٢)، يعني الإسناد وقال أيضاً: "مثل الذي يطلب أمر دينه بلا إسناد كمثل الذي يرتقى السطح بلا سلم"(٣)، وقال الثوري: "الإسناد سلاح المؤمن"(٤)، وقال أيضاً: "الإسناد زين الحديث، فمن اعتنى به فهو السعيد"(٥). والإسناد المتصل من خصائص هذه الأمة الإسلامية التي انفردت بها ولم تشاركها هذه الميزة أمة من الأمم وكان هذا تحقيقاً لوعد الله في حفظ ما أنزل من الذكر، فله الحمد والمنة. فالسند بين اليهود ونبيهم موسى عليه السلام منقطع بأزيد من ثلاثين عصراً أزيد من ألف وخمسمائة عام ... وأما النصارى فليس عندهم من صفة هذا الإسناد المتصل إلا تحريم الطلاق وحده على أن مخرجه من كذاب قد صح كذبه(٦). من أجل ذلك اهتم المحدثين بالإسناد وعنايتهم بالإسناد أمر مشهور وجعلوا كل حديث لا سند له لا قيمة له قال الإمام الشافعي ﷺ المتوفى سنة أربع ومئتين: "مثل الذي يطلب العلم بلا إسناد مثل حاطب ليلٍ، لعل فيها أفعى تلدغُه، وهو لا يدري"(٧)، وقال محمد بن سيرين: "إن هذا العلم دين، دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم"(٨). قال الإمام الزهري لإسحاق ابن عبد الله بن أبي فروة المدني المتروك: "يا إسحاق تجئ بأحاديث ليست لها أمة ولا خطام! إذا حدثت فأسنده"(٩).

(١) مقدمة صحيح مسلم، ١٢/١، ومعرفة علوم الحديث ٦، الكناية، ص ٥٥٨.
(٢) المرجع السابق.
(٣) الكفاية، ص ٥٥٨، وشرف أصحاب الحديث، ص ٤٢.
(٤) شرف أصحاب الحديث، ص ٤٢، طبقات الشافعية ٣١٤/١.
(٥) طبقات الشافعية، ٣١٤/١.
(٦) الفصل في الملل والنحل، ٨٢/٢، ٨٣، قواعد التحديث، ص ١٨٥.
(٧) الإرشاد، ١٥٤/١.
(٨) مقدمة صحيح مسلم، ١٤/١.
(٩) الإرشاد، ١٩٤/١.

أما الأحاديث التي لا تتعلق بالحلال والحرام أو العقائد فإنهم يتساهلون في روايتها عن المشايخ والضعفاء، حتى أصبح عرفاً بينهم، قال عبد الله: سئل أبى عن يحيى بن عبيد الله، فقال: منكر الحديث يسأل يحي بن سعيد يوماً عنه فقال: من يحدث عنه؟ قيل لأبى: ابن المبارك روى عنه: قال: من يحدث عنه. روى عنه! فقال - أي الإمام أحمد - : في الرقائق، يعني الزهد"(١)، وقال أيضاً أبو عبد الله: "إذا روينا عن رسول الله ﷺ في الحلال والحرام والسنن والأحكام تشددنا في الأسانيد وإذا روينا عن النبي ﷺ في فضائل الأعمال وما لا يضع حكماً ولا يرفعه، تساهلنا في الأسانيد"(٢). وقد عقد الخطيب باباً خاصاً في هذه المسألة تحت باب التشديد في أحاديث الأحكام والتجوز في فضائل الأعمال، ذكر فيه أقوال أهل العلم حول هذه المسألة. وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على اهتمام المحدثين بكل ما يتعلق بالتوثق من صحة الحديث المنسوب إلى رسول الله ﷺ.

(١) العلل في معرفة الرجال، ١٣٣/٢.
(٢) الكفاية، ص ١٣٤.

المبحث السادس

اهتمام المحدثين بعلم تاريخ الرواة (علم رجال الحديث)

غاية هذا العلم الكشف عن أحوال الرواة ونشأتهم وحياتهم العملية والعقلية والعلمية، والمذهبية، والسياسية، ومعرفة شيوخهم الذين أخذوا عنهم ورأى هؤلاء الشيوخ فيهم، ومعرفة تلاميذهم الذين تخرجوا عليهم. وشهادة عارفيهم لهم أو عليهم وسائر ما له صلة بتكوين الثقة والحكم عليهم جرحاً أو تعديلاً. ومن الأمور المهمة جداً معرفة تاريخ ولادة الرواة وتاريخ موتهم فبذلك يستدل العلماء على كذب الكاذب في روايته عمن لم يدركه ومن ذلك ما ذكره الخطيب في "الكفاية" من أن عمر بن موسى قدم حمص، فاجتمع الناس إليه في المسجد، فجعل يقول: "حدثنا شيخكم الصالح" فلما أكثر سأله عفير بن معدان: من شيخنا الصالح؟ سّمِهِ لنا نعرفه. فقال خالد بن معدان. قال: قلت له: من أي سنة لقيته؟ قال: لقيته سنة ثمان ومائة. قلت: فأين لقيته؟ قال: لقيته في غزاة أرمينية. قال: فقلت: اتق الله يا شيخ ولا تكذب مات خالد بن معدان سنة أربع ومائة وأنت تزعم أنك لقيته بعد موته بأربع سنين وأزيدك أخرى أنه لم يغز أرمينية قط كان يغزو الروم"(١)، قال حفص بن غياث القاضى: "إذا اتهم الشيخ فحاسبوه بالسن يعني سنه وسن من كتب عنه"، وقال سفيان الثوري. لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ. وقال حسان بن يزيد: لم نستعن على الكذابين بمثل التاريخ: نقول للشيخ سنة كم ولدت؟ فإذا أقر بمولده عرفنا صدقه من كذبه(٢).

أما الكتب التى ألفت في تاريخ الرواة فأكثر من أن يحصيها هذا البحث المتواضع ويكفي أن أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- الكنى للإمام البخاري وهو أول من ألف في هذا العلم.
٢- الرسالة المستطرفة للعلامة محمد بن جعفر الكتاني المتوفى سنة ١٣٤٥هـ/١٩٢٧م.
٣- الطبقات الكبرى لابن سعد.

(١) الكفاية، ص ١٩٣.
(٢) الثقافة الإسلام للأستاذ المرحوم محمد راغب، ص ٢١٨.

٤- الاستيعاب في معرفة الرجال.
٥- أسد الغابة في أسماء الصحابة لابن الأثير.
٦- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني.
٧- كتاب عين الإصابة للسيوطي وهو مختصر الإصابة.

المبحث السابع

اهتمام المحدثين بعلم علل الحديث

وهو علم يبحث عن الأسباب الخفية الغامضة التي يمكن أن تقدح في صحة الحديث كأن يكون الحديث منقطعاً فيروى على أنه موصول، أو أن يدخل حديث في حديث، أو أن يكون في الحديث تدليس أو علة أخرى.

ومعرفة علل الحديث من أدق علوم الحديث ولا يقف عليها إلا الموهوبون ممن أفنوا أعمارهم في خدمة السنة والاشتغال في علومها وهو فن مهم جداً يقبح جهله بأهل الحديث لكن الخوض فيه صعب.

والطريق إلى معرفته جمع طرق الحديث والنظر في اختلاف رواته وفي ضبطهم وإتقانهم ولذلك فإن معرفة هذه العلل لا تتأتى إلا لذوي الاختصاص والخبرة.

أشهر المصنفات فيه:

وممن ألف في هذا العلم ابن المديني المتوفى سنة ٢٣٤هـ وقد طبع كتابه في دمشق سنة ١٣٩٣هـ، وابن أبي حاتم الرازي المتوفى سنة ٣٢٧هـ وكتابه مطبوع في مصر سنة ١٣٤٣هـ، والإمام مسلم والحاكم والدارقطني وغيرهم.

المبحث الثامن
اهتمام المحدثين بعلم غريب الحديث

الغريب لغة:

هو البعيد عن أقاربه والمراد به هنا الألفاظ التي خفي معناها.

الغريب اصطلاحاً:

هو ما وقع فى متن الحديث من لفظة غامضة بعيده من الفهم لقلة استعمالها.

ونستخلص من ذلك أن المقصود بغريب الحديث هو الألفاظ التي تحتاج إلى شرح وتفسير، وسبب الغرابة إما غموض معنى الكلمة بحيث لا يفهم معناها إلا بعد بحث وتنقيب وإما أن يكون معناها معروفاً لدى قوم دون غيرهم لأنها مستعملة في لغتهم.

ومن المعروف أن حديث رسول الله ﷺ كان يتسم بالوضوح وبعده عن الغريب لأنه ﷺ. كان أفصح العرب لساناً وأوضحهم بياناً ولكن وصف الغرابة طرأ على بعض ألفاظ الحديث لما آل إليه أمر اللغة من التأثر بالعجم وداخلها من اللحد وفساد السليقة فكانت مهمة علم غريب الحديث بيان ما خفي معناه على كثير من الناس بعد أن تسرب الفساد إلى اللسان بسبب تمازج الشعوب كما أن هذا العلم يوضح معنى الكلمات التي كان يخاطب بها رسول الله ﷺ وفود القبائل(١).

أشهر المصنفات فيه:

١- غريب الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام.
٢- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير وهو أجود كتب غريب الحديث.
٣- الدر المنثور للسيوطي وهو تلخيص للنهاية.
٤- الفائق للزمخشري.

(١) الحديث النبوي، محمد الصباغ، ص ٢٠٠.

المبحث التاسع
اهتمام المحدثين بعلم ناسخ الحديث ومنسوخه

النسخ لغة:

له معنيان: الإزالة. ومنه نسخت الشمس الظل، أي أزالته. والنقل ومنه نسخت الكتاب إذا نقلت ما فيه فإن الناسخ قد أزال المنسوخ أو نقله إلى حكم آخر.

النسخ اصطلاحاً:

رفع ا لشارع حكماً منه متقدماً بحكم منه متأخر(١).

ويقوم هذا العلم على بحث الأحاديث المتعارضة التي لا يمكن التوفيق بينها ويبحث عن المتقدم منها والمتأخر. فما ثبت تقدمه يقال له "منسوخ". وما ثبت تأخره يقال له "ناسخ".

ولهذا العلم أثره الكبير في فهم مضمونات النصوص واستنباط الأحكام وتقويم النص الذي تتوافر فيه شروط الصحة ليمكن الاستفادة منه.

معرفة الناسخ من المنسوخ:

قال العلماء: إن معرفة الناسخ من المنسوخ قد تكون بنص من الشارع كأن يصرح الرسول ﷺ بذلك، وقد يعرف الناس بأن ينص عليه صحابي، والصحابة أجل من أن يحكموا بالنسخ دون معرفة بتاريخ الناسخ والمنسوخ.

كذلك يعرف الناسخ بالتاريخ والسيرة كأن يحدد الوقت الذي ورد فيه كل من الحديثين المتعارضين.

أهميته وصعوبته وأشهر المبرزين فيه:

معرفة ناسخ الحديث ومنسوخه مرتقى صعب لا يناله إلا الأثبات من العلماء ومن أشهر العلماء فيه الإمام الشافعي فقد كانت له فيه اليد الطولى والسابقة الأولى. والقاضى التنوخي، ومحمد ابن بحر الأصبهاني وغيرهم.

(١) تيسير مصطلح الحديث، ص ٥٩.

أشهر المصنفات فيه:

١- الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار لأبي بكر محمد بن موسى الحازمي.

٢- الناسخ والمنسوخ للإمام أحمد بن حنبل.

٣- تجريد الأحاديث المنسوخة لابن الجوزي.

المبحث العاشر

اهتمام المحدثين بعلم الجرح والتعديل

المقصود بالجَرح: كشف أحوال رواة حديث رسول الله ﷺ مما يشينهم ويطعن فى روايتهم.

والمقصود بالتعديل: إظهار الأسباب الموجبة لقبول رواية حديث رسول الله ﷺ من رجال السند.

ولقد عرف العلماء هذا العلم فقالوا: "هو علم يبحث في أحوال الرواية جرحاً وتعديلاً، بألفاظ مخصوصة واصطلاحات منضبطة"، ولذا فهو من أهم علوم الحديث وأعظمها شأناً إذ به يتميز الحديث الصحيح من السقيم وقد اتفق العلماء على جواز الجرح تبياناً للواقع ولم يعدو ذلك غيبة.

قال الدارقطني: "فإن ظن ظان أوتوهم متوهم أن التكلم فيمن روى حديثاً مردوداً غيبة له، يقال له: ليس هذا كما ظننت، وذلك أن إجماع أهل العلم على أن هذا واجب ديانة ونصيحة للدين والمسلمين"(١)، ثم روى عن أبى بكر بن خلاد أنه قال ليحيى القطان أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله عز وجل، قال: لأن يكون هؤلاء خصمائى أحب إلى من أن يكون النبي ﷺ خصمي يقول لي: لِم لَم تذب الكذب عن حديثي.

نشأة علم الجرح والتعديل:

نشأ علم الجرح والتعديل مع نشأة الرواية في الإسلام إذ كان لابد لمعرفة الأخبار الصحيحة من معرفة رواتها، معرفة تمكن أهل العلم بالحكم عليهم بالصدق أو الكذب في الحديث حتى يتمكنوا من تمييز الحديث المقبول من المردود لذلك سألوا عن الرواة وتتبعوهم في مختلف أحوال حياتهم العلمية وبحثوا حتى عرفوا الأحفظ فالأحفظ والأضبط فالأضبط ونحن نعلم أن رسول الله ﷺ معلمنا قد جرح وعدل.

(١) تحذير الخواص، ص١٨، ١٢٨.

قال الإمام السيوطى: "وتكلم في الرجال جمع من الصحابة والتابعين فمن بعدهم. وأما قول صالح جزرة: أول من تكلم في الرجال شعبة ثم تبعه يحيى بن سعيد القطان، ثم أحمد، وابن معين، فيعنى أن أول من تصدى لذلك"(١).

كيف يعرف ضبط الراوي؟

يعرف ضبط الراوي بموافقة الثقات المتقنين في الرواية فإن وافقهم في روايتهم غالباً فهو ضابط، ولا تضر مخالفته النادرة لهم، فإن كثرت مخالفته لهم اختل ضبطه، ولم يحتج به(٢).

تحريهم ودقتهم في الحكم على الرجال:

اهتم علماء الحديث دقة التحري في الحكم على لارجال فقد يشهدون لراوٍ بالفضل والتقوى، ولكنهم يردون حديثه لغلفته أو ضعف ذاكرته. قال الإمام مالك: "إنا لنرد رواية أقوام ونحن نرجو شفاعتهم يوم القيامة". وقال ربيعة بن أبى عبد الرحمن: "إن من أخواننا من نرجو بركة دعائه ولو شهد عندنا بشهادة ما قبلناها"(٣).

ألفاظ الجرح والتعديل:

هناك ألفاظ اصطلاحية في الجرح والتعديل تختلف في دلالتها العملية عن أقوالهم في التعديل.

هو ثقة - أو متقن - أو صدوق - أو محله الصدق - أو لابأس به أو صالح الحديث(٤).

قال الخطيب وأرفعها أن يقال: "حجة" أو "ثقة"(٥).

(١) تدريب الراوي، ٣٦٧/٢.
(٢) تيسير مصطلح الحديث، ص ١٤٧.
(٣) الكفاية، ص ٢٤٧.
(٤) الرفع والتكميل، ص ١٠٧.
(٥) الكفاية، ص ٥٩.

ومن أقوالهم في الجرح:

هو لين الحديث - أو ليس بقوي - أو مقارب للحديث - أو ضعيف الحديث - أو مضطرب الحديث - أو متروك الحديث - أو ليس بذاك - أو مجهول أو لا شئ - أو ساقط[١].

قال الخطيب: وأدونها أن يقال: "كذاب" أو "ساقط"[٢].

س: هل يقبل الجرح والتعديل من غير بيان؟

أ- أما التعديل فيقبل من غير ذكر سببه على الصحيح المشهور لأن أسبابه كثيرة يصعب حصرها.

ب- أما الجرح فلا يقبل إلا مفسَّراً، لأنه يصعب ذكره ولأن الناس يختلفون في أسباب الجرح فقد يجرح أحدهم بما ليس بجارح[٣].

وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على الدقة المتناهية في الحكم على الرجال.

كتب الجرح والتعديل:

وقد ألفت في هذا العلم كتب عديدة:

منها ما كان جامعاً كالتاريخ الصغير والأوسط والكبير للبخاري.

ومنها ما كان خاصاً في الثقات ككتاب العجلي المتوفى سنة ٢٦١هـ ومنها ما كان خاصاً في الضعفاء والمتروكين كالكتب التي ألفها في ذلك البخاري والنسائي والدارقطني وابن الجوزي ومن أشهر المؤلفات التي اختصت بالضعفاء كتاب ميزان الاعتدال للذهبي ومنها ما كان خاصاً في المدلسين ككتاب الكرابيسي والدارقطني.

(١) الرفع والتكميل، ص ١٠٩.
(٢) الكفاية، ص ٥٩.
(٣) تيسير مصطلح الحديث، ص ١٤٧.

المبحث الحادي عشر

تحذير المحدثين من الصحفي

تحذير العلماء من الصحفي:

من الأساليب التي اتبعها المحدثون للمحافظة على السنة النبوية تحذيرهم من الصحفي.

والصحفي: "هو - كما قال الخليل بن أحمد - الذي يروي الخطأ على قراءة الصحف باشتباه الحروف[١] وسبب تحذيرهم من هذا الصنف أن من أخذ العلم من الصحف من غير أن يأخذه من أفواه العلماء فإنه في الغالب يقع في التصحيف والتغيير. قال شعبة: قال لي أيوب: "لا تروي عن فلاس بن عمرو فإنه صحفي"[٢]. وقال سعيد بن عبد العزيز التنوخي المتوفى سنة سبع وستين ومئة: "كان يقال: لا تحملوا العلم عن صحفي ولا تأخذوا القرآن عن مصحفي"[٣]. ولم يكتف العلماء بذلك بل بينوا كل من روى عن صحيفة أو كتاب، وكثيراً من الرواة إذا حدث من صحيفة يقول: وجدت كذا في كتاب كذا كما كان يفعل عبد الله بن الإمام أحمد وغيره فإنه يقول: وجدت في كتاب أبى[٤].

(١) تصحيفات المحدثين لأبى بكر العسكري ٢٤/١/١.
(٢) المعلل ومعرفة الرجال، ١٤١/١.
(٣) تصحيفات المحدثين، ٧/١/١.
(٤) العلل ومعرفة الرجال، ١٤١/١.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشكره سبحانه على ما منّ به علي من التوفيق والسداد وبعد فبعد هذه الرحلة الممتعة في النمو في جهود المحدثين ومنهجهم في حفظ الحديث النبوي الشريف ومن خلال معايشتي لهذا البحث خرجت بهذه النتائج التي يمكن أن نتوصل إليها من هذا البحث فهي:

١- اهتمام علماء الحديث بالسنة النبوية الشريفة تحملاً وأداءً ونشراً لها.

٢- وجود صحف دون فيها حديث رسول الله ﷺ في وقت مبكر قبل الأمر بتدوين السنة.

٣- بعد الاحتمالات الواردة في وقوع الخطأ من الرواة، كما لاحظنا من مناهجهم التي اتبعوها.

٤- يجب على المحدث تصحيح النية وإخلاصها. وتطهير القلب من أغراض الدنيا، كحب الرئاسة أو الشهرة.

يجب على المحدث أن يكون أكبر همه نشر الحديث، والتبليغ عن رسول الله ﷺ. وصل الله على نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين وأصحابه المقتدين بسنته الذابين عنها الباطل إلى يوم الدين.

د. هيام عبد الباسط محمد عبد الغنى
مدرس الحديث النبوي الشريف

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: مصادر أخرى.

١- أسد الغابة في معرفة الصحابة.

٢- الإصابة في معرفة الصحابة.

٣- الثقافة الإسلامية للأستاذ المرحوم الشيخ محمد راغب طباخ.

٤- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي - نشر دار الكتاب العربي بيروت.

٥- تدريب الراوي شرح تقريب النواوي للسيوطى، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف الطبعة الثانية، سنة ١٣٨٥هـ.

٦- تصحيفات المحدثين لأبى أحمد العسكري.

٧- التقريب للنووي مع شرحه التدريب، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف الطبعة الثانية، سنة ١٣٨٥هـ.

٨- التقييد والإيضاح لابن الصلاح.

٩- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني.

١٠- تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان، ط. مكتبة المعارف الرياض.

١١- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع.

١٢- الجرح والتعديل.

١٣- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر.

١٤- الرسالة للشافعي، تحقيق أحمد محمد شاكر.

١٥- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة للكتاني تحقيق الشيخ محمد الكتاني، ط دار الفكر.

١٦- سند الترمذى مع شرحه تحفة الأحوذي - الطبعة المصرية - نشر محمد عبد المحسن الكتبي.

١٧- سنن أبى داوود - طبعة الهند على الحجر.

١٨- سنن ابن ماجة ترتيب وتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - طبع عيسى الحلبى، سنة ١٣٧٢هـ.

١٩- سنن الدارقطني، تصحيح وتحقيق ونشر السيد عبد الله هاشم اليماني المدني.

٢٠- سنن الدارمي.

٢١- سير أعلام النبلاء.

٢٢- شرح ألفية العراقي له - طبعة المغرب.

٢٣- صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري - تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز المطبعة السلفية، سنة ١٣٨٠هـ.

٢٤- صحيح البخاري المتن فقط .. طبعة بولاق سنة ١٢٩٦هـ.

٢٥- صحيح مسلم مع شرح النووي - الطبعة الأولى - سنة ١٣٤٧هـ.

٢٦- العلل لابن أبى حاتم.

٢٧- علوم الحديث لابن الصلاح - تحقيق الدكتور نور الدين عتر، نشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة سنة ١٣٨٦هـ.

٢٨- فتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوي - تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

٢٩- الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي طبعة دائرة المعارف بالهند، سنة ١٣٥٧هـ.

٣٠- المتفق والمفترق للخطيب البغدادي - مخطوط.

٣١- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، نشر مكتبة النصر الحديثة بالرياض.

٣٢- المحدث الفاضل.

٣٣- الإلماع.

٣٤- مقدمة الجرح والتعديل لابن أبى حاتم.

٣٥- معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري - طبعة دائرة المعارف العثمانية.

٣٦- معالم السنن للخطابي - تحقيق أحمد شاكر مطبعة أنصار السنة المحمدية، سنة ١٣٦٧هـ.

٣٧- ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي - تحقيق على محمد البجاوي طبع عيسى الحلبي، سنة ١٣٨٢هـ.

٣٨- موطأ مالك تصحيح وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي - طبعة عيسى الحلبي، سنة ١٣٧٠هـ.

٣٩- نزهة النظر شرح نخبة الفكر للحافظ ابن حجر، نشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

٤٠- نخبة الفكر مع شرحها نزهة النظر للحافظ ابن حجر - نشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.